

جامعة بابل
كلية التربية

التركيب الداخلي لمدينة الحلة

الأستاذ الدكتور
عبد الزهرة علي الجنابي

تعدد الوظائف والخدمات التي تقدمها المدينة لساكنيها وإقليمها، ويمتد كل منها على مساحة من أرضها، وفي موقع بعينها تعين على تقديم تلك الخدمات طالبيها، وهذه الوظائف تتعدد ومساحاتها و مواقعها، بل وفي طرز عمارتها إنما تتأثر بأحوال المدينة وتغيرها تأريخاً وسكاناً واقتصاداً وحضاراً، وتبدو آثارها جلية في سعة المدينة ومظهرها المرئي والتي تتغير بتغير الأحوال، إن تقديمها لتوسيع المدينة ومرافقها، وبياناً لخطتها لا شك يعين على إيضاح وتفسير طبيعة وخصائص ما هو قائم من استعمال للأرض في مدينتنا.

١. التطور التاريخي للاتساع الماسحي لمدينة الحلة

هو امتداد عمران المدينة^(١)، الناتج عن الزيادة في مساحة الجزء المنشد فيها، وخلال عمر أيام مدينة تمر بمراحل تاريخية واقتصادية مختلفة تتباين فيها وظائفها ومساحاتها ومركزيتها في إقليمها، مما ينعكس على مظهرها المرئي الذي تتعدد خصائصه وميزاته بحسب تلك المراحل، إن مظهر المدينة في مساحتها وخطتها وعمارتها ومواقع الوظائف فيها عرضة للتغير كلما دعت الحاجة لتغييره من أجل تحقيق الانسجام بين الوظائف التي تؤديها المدينة ووسائل تنفيذ تلك الوظائف، إن أبرز ما كان من عوامل للتغير في مدينة الحلة هو:

أولاً: التغير في أنظمة النقل ووسائله^(٢)، ويلاحظ أثره في اتجاهات التوسيع الماسحي للمدينة بمحاذة طرق النقل الداخلية والخارجية.

ثانياً: زيادة عدد السكان في المدينة^(٣)، وخاصة لتدفق كثر من المهاجرين نحوها سواء من إقليمها أو من خارجه، فبينما كان في المدينة ٤% من سكان المحافظة عام ١٩٤٧، ازدادوا إلى ٢٢% منهم عام ١٩٩٧.

ثالثاً: التغير في وظائف المدينة، بظهور وظائف جديدة فيها مثل التعليم بمرافقه والصحة والترفيه والإدارة، بعد أن ظلت تقصر على السكن والتجارة قرون عدة.

رابعاً: تزايد مقدار الدخل الذي يحصل عليه سكان المدينة وخاصة من وظائفها الأساسية التي تقدم بها المدينة سلعاً وخدمات لغير سكانها^(٤).

خامساً: التزايد في قدرة المدينة على اجتذاب مزيد من الأنشطة الاقتصادية نتيجة ما قد توفر له من وفورات التكثيل الحضري والصناعية^(٥).

سادساً: القرارات التخطيطية والتي رسمت مقدار واتجاهات التوسيع، متمثلة بالتصميم الأساسي الذي وضع للمدينة عام ١٩٧١ ثم تحسينه ولغاية عام ٢٠٠٢.

سابعاً: تغير التركيب الداخلي في المدينة لأسباب عديدة: منها اقتصادية واجتماعية وقوى الجذب والطرد الوظيفي^(٦)، وهو ما يحصل عادة في جميع المدن ولكن بتأثير متباعدة.

ثامناً: عوامل أخرى كالضوابط الطبيعية^(٧)، وأبرزها امتداد شط الحلة (الفرات في مرحلة سابقة) الذي يسيطر المدينة من شمالها نحو الجنوب، وارتفاع مستوى المياه الجوفية في الشرق.

أنشئت مدينة الحلة عام ١١٠٢هـ، على مساحة محدودة من الأرض، بنواة هي الجامعين ثم الكراد إلى الشمال قليلاً من سابقتها^(٨). واقتصر السكن حينئذ على الجانبي الغربي من نهر الفرات (شط الحلة الحالي). وكان الموقف السياسي الغير مستقر وكثرة المشاكل والمنازعات بين المزیديين والبویهیین السبب الرئيس في انتقال المزیديون ومركز حکمهم من منطقة النيل إلى محلة الجامعين ليكونوا في منأى عن المشاكل. توسيع المدينة سريعاً بعد ذلك وكان لاستقرار الأوضاع السياسية دور هام في نموها واتساعها وفي زيادة مكانتها. فقد بنيت فيها دور كثيرة وأخذ يقصدها التجار من بلاد الشرق، وزاد عدد سكانها، واتسعت مساحتها، وكثرت العمارة فيها. وسرعان ما أصبحت عاصمة لإمارة يمتد سلطانها على وسط العراق وجنوبه. وقد أكسبها بعض الحكام أهمية كبيرة، إذ بني لها الخليفة العباسي (الناصر لدين الله) أول جسر عام ١٨٤هـ، كما عدّها المعتصم بالله مركزاً له بعض أيام السنة^(٩). كان هذا الجسر مدعماً لتوسيع المدينة في الجانب الآخر من النهر.

تراجحت بعد ذلك أهمية المدينة وتم توسيتها بين تدهور بسبب الصراع على السلطة والغزو الأجنبي وانتشار الأمراض والفيضانات، والتي كان لها وقع كبير على حياة المدينة حتى وصفت مرة بأنها قرية كبيرة^(١٠)، فيما تحسنت أحوالها حيناً آخر، فأطلق عليها البعض اسم (بغداد الصغرى) نهاية القرن الثامن عشر^(١١). وفي عام ١٨١٦ قدر سكانها بعشرين ألف نسمة^(١٢) ومجموع دورها المشيدة من الأجر والقار عام ١٨٣١ بثمانية آلاف دار^(١٣)، توزعت بين أحياها القديمة المعروفة آنذاك، المحاطة بسورها ويتوسطها سوق كبير ينفتح على محلات السكن على جنبيه بدور ضيق.

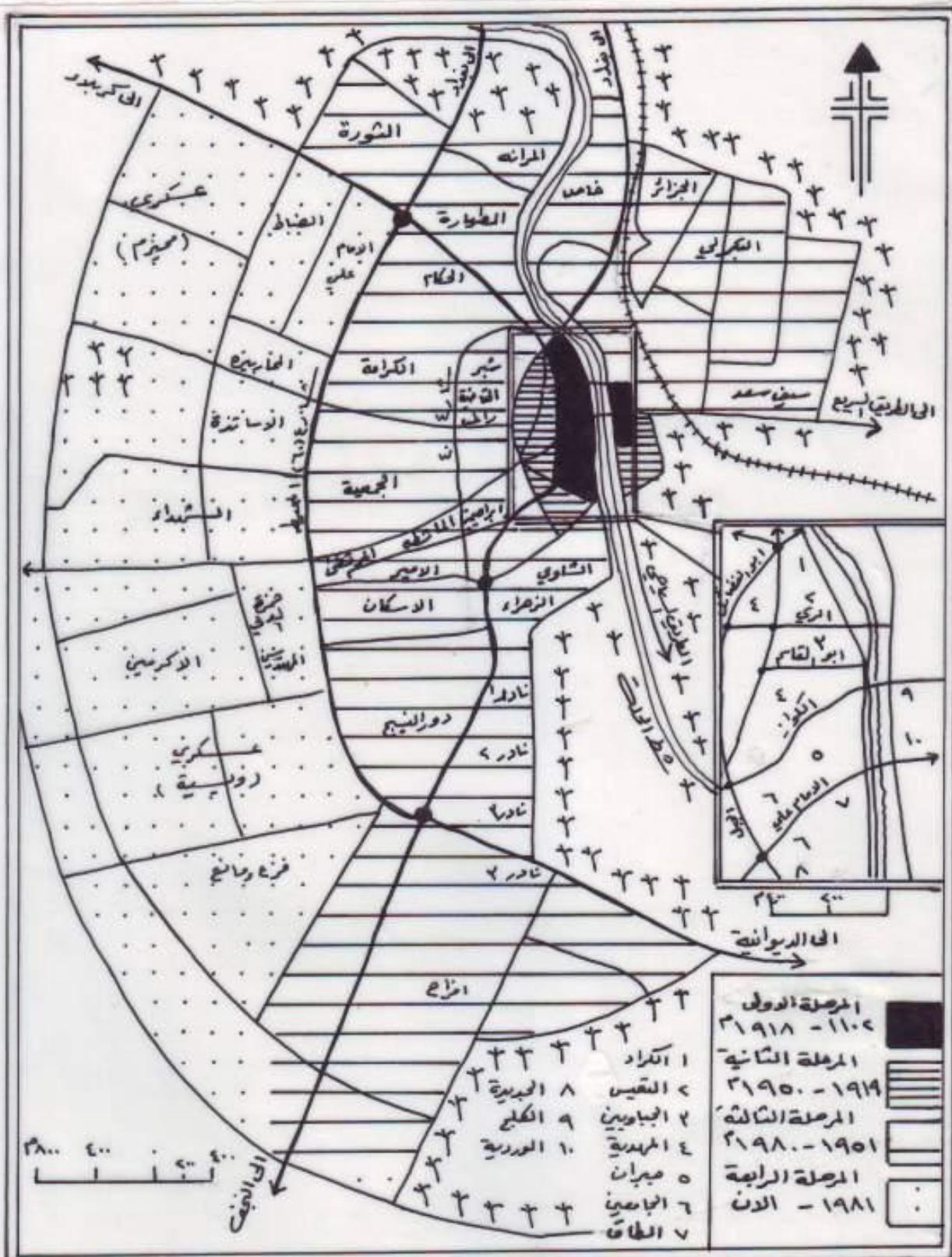
أسهمت عدة عوامل في استقرار السكان بل وزيادتهم المطردة في المدينة لاحقاً: منها إنشاء سدة الهندية عام ١٩١٣ التي نظمت توزيع المياه بثبات بين فرعين لنهر: الحلة والهندية، ومد سكة حديد بغداد - البصرة التي تمر بالمدينة وتخدمها، وإصال الماء والكهرباء لأحياءها، وإقامة مشاريع للصناعة فيها وتحسين مستوى السكان في دخلهم وصحتهم وعلومهم، فتزداد السكان فيها ووصل عددهم إلى (٣٠) ألف نسمة عام ١٩٢٠^(١٤)، وإلى (٥٤) ألف عام ١٩٥٧^(١٥)، واتسعت مساحة المدينة من (١٠٠) هكتار بداية القرن العشرين^(١٦) إلى (٢٥٠) هكتاراً عام ١٩٥٥ وثم إلى (٥٦٣) عام ١٩٧١ و(١٢٨٦) عام ١٩٨١ وآخرها (٤٠٥٢) هكتاراً.

وبذا قد مر توسيع المدينة بمراحل عدّة وكما يلي:

أولاً: المرحلة الأولى وتبّأ من نشأة الحلة وحتى عام ١٩١٨، حيث حطم الاحتلال الإنكليزي سور المحيط بدلاته الرمزية. ظلت المدينة هذه المدة الطويلة محددة بسورها وبمساحة محدودة وبمحلاتها التسع المعروفة: سبع منها غرب النهر واثنتان شرقه (لاحظ الخارطة رقم ١). يلاحظ صغر مساحة المساكن بعمارة عربية وشناسيل مميزة وشوارع عضوية ضيقة توفر حماية لسكان المحلة من تطرف المناخ وبعض من أخطار المحيط.

ثانياً: المرحلة الثانية وتلي تحطيم سور حتى منتصف القرن العشرين. وفيها فتحت شوارع عريضة داخل المدينة أو حولها تتناسب وتغير واسطة النقل، منها شوارع:

خارطة رقم ١
مراحل التوسيع المساحي لمدينة الحلة وأحياء السكن فيها



بابل والجامعين وأبي الفضائل في الثلاثينات، والإمام علي وأبي القاسم والري في الأربعينات. وجاء التوسيع أيضاً بمساكن قليلة ولكن بمساحات أوسع وبمواد بناء جديدة، فيما ظلت عمارتها عربية مع تحوير بسيط فيها. كما أضيفت استعمالات جديدة للأرض كالتعليم والترفيه والإدارة والصحة، وتطورت وظائف السكن والتجارة والصناعة.

ثالثاً: وفي مرحلة ثالثة تمت حتى ١٩٨٠ توسيع المدينة سريعاً، فوزعت فيها أراض سكنية كثيرة، وظهرت أحياء سكنية عديدة، وشيدت مصانع حديثة، وفتحت شوارع شعاعية وصار نمو المدينة قطاعياً، إلا أنها ظلت داخل محيطها الجديد (شارع ٦٠) الذي مثل نصف دائرة تحيط جنوباً الغربي، فيما ظلت المدينة عند اعتاب النهر في الشرق أو على مقربة منه.

رابعاً: وابتداءً من عام ١٩٨١ انطلقت المدينة في توسيعها العمراني خارج محيطها المذكور بذات الجهات وباعتبار ذات المحدودات. ونظراً إلى أن هذا التوسيع كان محدوداً بالتصميم الأساسي للمدينة فقد استحوذت الخدمات الاجتماعية والترفيهية والصناعة على نصيب ممیز من المساحة على حساب السكن والنقل فيها دون أن يعني ذلك تراجعاً في مساحة كلِّيَّهما.

٢. خطة المدينة

وتطلق على أنظمة الشوارع فيها، تعد هذه معلماً مورفولوجياً يميز دوره حياة المدينة بمراحلها العديدة، وهي انعكاس لها وأحد عناصر التأثير في أنظمة استعمالات الأرض، وفي مساحاتها ومواضعها، ولأن المدن العربية القديمة أو بعض أحياءها عمراً موغلة في القدم صارت لها خططاً تبدلت بتبدل وسائل النقل المستخدمة، فالشوارع العضوية تبدأ من قلبها حيث المسجد الجامع أو السوق وتتوغل بعيداً في أحياءها السكنية وتنتهي بドروب مغلقة عند دار أو جدار، أو عند بوابات السور، لتنسجم مع واسطة النقل المستخدمة آنذاك وهي الحيوانات، وفيها تتلاحم جدران المنازل وتصغر مساحاتها فتوفر الإحساس بالأمن والألفة لأهل المحلة، وهذا ما يلاحظ في مدينة الحلة في مرحلتها الأولى، وعندما استخدمت السيارات واسطة رئيسة للنقل ظهرت الشوارع العريضة المستقيمة، وتحسن حال أرضيتها باستخدام مواد الأكساء، كما تحولت أنظمة الشوارع من العضوية إلى الشعاعية التي تطلق من قلب المدينة نحو أطرافها، مما يلاحظ في المرحلة الثانية، هذه الشوارع قد هيأت فرصة لدخول يسير إلى المدينة وخروج أيسير منها، ومعها وتلاها التوسيع خارج المدينة القديمة، وعلى محاور النقل هذه ظهرت أحياء السكن الجديدة، أما الشوارع الدائرية التي أحاطت بالمدينة في مرحلتها الثالثة والرابعة، وفي جانبها الغربي بالذات، والتي استطالت نسبياً متأثرة بجري شط الحلة فكان لها دورها بتحويل حركة المرور العابر إلى محيط المدينة بدلاً من اختراقها، ومعلوم أن الحلة تمثل بؤرة لطرق نقل كثيفة تربط بين جنوب القطر ووسطه بحاضنته بغداد.

يتضح مما سبق أن للحلة خصوصيتها فلا تتطابق عليها نظرية تمت صياغتها في بيئات أخرى، سواء في أنظمة شوارعها، أو في مساحات مساكن أهلها. فقد أضيفت

لمركزها أنطقة مترافقه للسكن ولكن بخطط شعاعية - دائريه لشوارعها، ولم يشا التخطيط الحديث أن يستبدل أنظمتها حفاظا على أصلالة المدينة واستيعابا لمحددات الطبيعة فيها وعليها، ومع هذه التغيرات في خطة المدينة تأثرت استعمالات الأرض، فاتسعت وانتظمت مساحات القطع الجديدة، وتخصصت واجهات الشوارع الرئيسية بالوظيفة التجارية، ونحو أطراف المدينة تأثرت استعمالات ووظائف أخرى كالصناعة والترفيه والتعليم والسكن، وتخصصت مناطق بعضها كالصناعة والتخزين والتجارة.

٣ . الواقع واستعمالات الأرض في مدينة الحلة

يندر رؤية مدينة ما بوظيفة واحدة وإن بدأت بها، وبخاصة في حالة مدن عريقة كالتي نصفها، فقرؤونا عدة من عمرها كانت كافية لقيام صناعة وترفيه ونقل وصحة إضافة لسكن فيها وتجارة قامت بادئ ذي بدء، وصار لكل واحدة منها مكانا في المعمور من المدينة منعزلة حيناً ومتداخلة مع غيره حيناً آخر، وما من ذكره تبين أن الوظائف هذه لم تركن إلى السكون، فتغيرت في أهميتها، وفي موقعها أيضاً، فكم من وظيفة هجرت موقعها نحو آخر، وأغلبها ازداد بسطة وغيرها بلى لأسباب تقدمت، وكل تغير في الوظائف تلاه تحويل أو تبدل في طرز العمارة ومظهر البناء، إضافة لما قد حصل في جوانب المساحة والموقع لكل منها، وما حصل وما قد يحصل في هذا دليل على حيوية المدينة وقدرتها على التجدد لاستيعاب الجديد في حياة سكانها.

وفيما يلي عرض لقائم حالياً من استعمال للأرض في مدينة الحلة:

٤٠ . استعمال الأرض لأغراض السكن:

نشأت الحلة في الجامعين مسكنًا لأهلها الذين قدموا من النيل في الجوار، إلا أنها بعد مدة وجيبة صارت تخرّب بدورها الإداري والحضاري والاقتصادي، ولتغير الأحوال تراجعت تلك الأهمية قرولاً عدة، ومع مقدم القرن العشرين عاودت المدينة أدبها لدور تريده بارزاً بين مدن العراق، فازداد عدد ساكنوها مرة أخرى من أهلها ومن الجوار أيضاً، واتسع المعمور من المدينة وما مخصص منه للسكن، فما بين عامي ١٩٤٧ و١٩٥٧ إزدادوا بنسبة ٤% فيما المحافظة بنسبة ١، ٣% والقطر بنسبة ٢، ٨% وكذا الحال ما بين ١٩٥٧ و١٩٦٥، وكانت النسبة ٦، ٥% و ٣، ١%، وما بين ١٩٧٧ و١٩٨٧ كانت ٤، ٤% و ٦% و ٣% لكل منها على التوالي أيضاً، وتجاوز عددهم في الحال (٣٥٠) ألف ساكن، إن هذا إضافة لعوامل أخرى تتعلق بتحسين مستوى الدخل والثقافة للسكان قد تطلب إضافة مساكن وأحياء جاء بعض من مواقعها برغبة وتوقيع ملوك الأرض كأحياء الإمام على والخسروية والثيلة ومصطفى راغب والابراهيمية والقاضية ونادر والشاوي والجديدة والطيارية والامير، وأخرى نشأت لدور قامت به جمعيات الإسكان التعاونية في شراء وفرز السكن لمنتسبيها مثل أحياء المحاربين والمعلمين والحكام والحسين والبريد والمصلحة والري والمرتضى، فيما كان للبلدية إسهام في تخطيط وإضافة محلات

أخرى كالأفراح والثورة وتموز والشهداء، وظهرت أحياء سكنية أخرى لدور نهضت به جهات إسكانية أخرى كالضبط وضبط الصناعي والإسكان الصناعي. وبذل فقد اتسعت مساحة السكن في المدينة أفقياً من (١٨٦) هكتاراً بداية السبعينات إلى (١٤١٥) هكتاراً في الوقت الحاضر وبنسبة ٥٣١٪ من مساحة المدينة (لاحظ الخارطة رقم ٢)، وصار في المدينة (٥٩) حياً ومحلّة سكنية (راجع الخارطة رقم ١). وإن حاولت الجهات التخطيطية توجيه التوسيع نحو السكن العمودي، إلا أنه اقتصر في التنفيذ حتى الآن على موقعين فقط، مما يعكس التوجهات الاجتماعية والنفسية للسكان ما يجدر اعتباره مستقبلاً.

اتخذ السكن فيحلة أنماطاً عدّة أمكن تحديدها بما يلي:
أولاً: إقليم الدور القديمة في المدينة القديمة، وهي التي تحمل تاريخ المدينة وإرثها الحضاري.

ثانياً: إقليم الدور الخالية من الحدائق، ويضم الأحياء المجاورة والمحيطة بالمدينة القديمة مما ظهر في المرحلة الثانية من عمر المدينة.

ثالثاً: إقليم الدور الراقية، وهو ما ظهر من أحياءها في الدور الثالث لعمرها مثل حي بابل والخسروية والجمعيّة والكرامة داخل الشارع المحيط (٦٠) وهي بمساحات واسعة وحدائق.

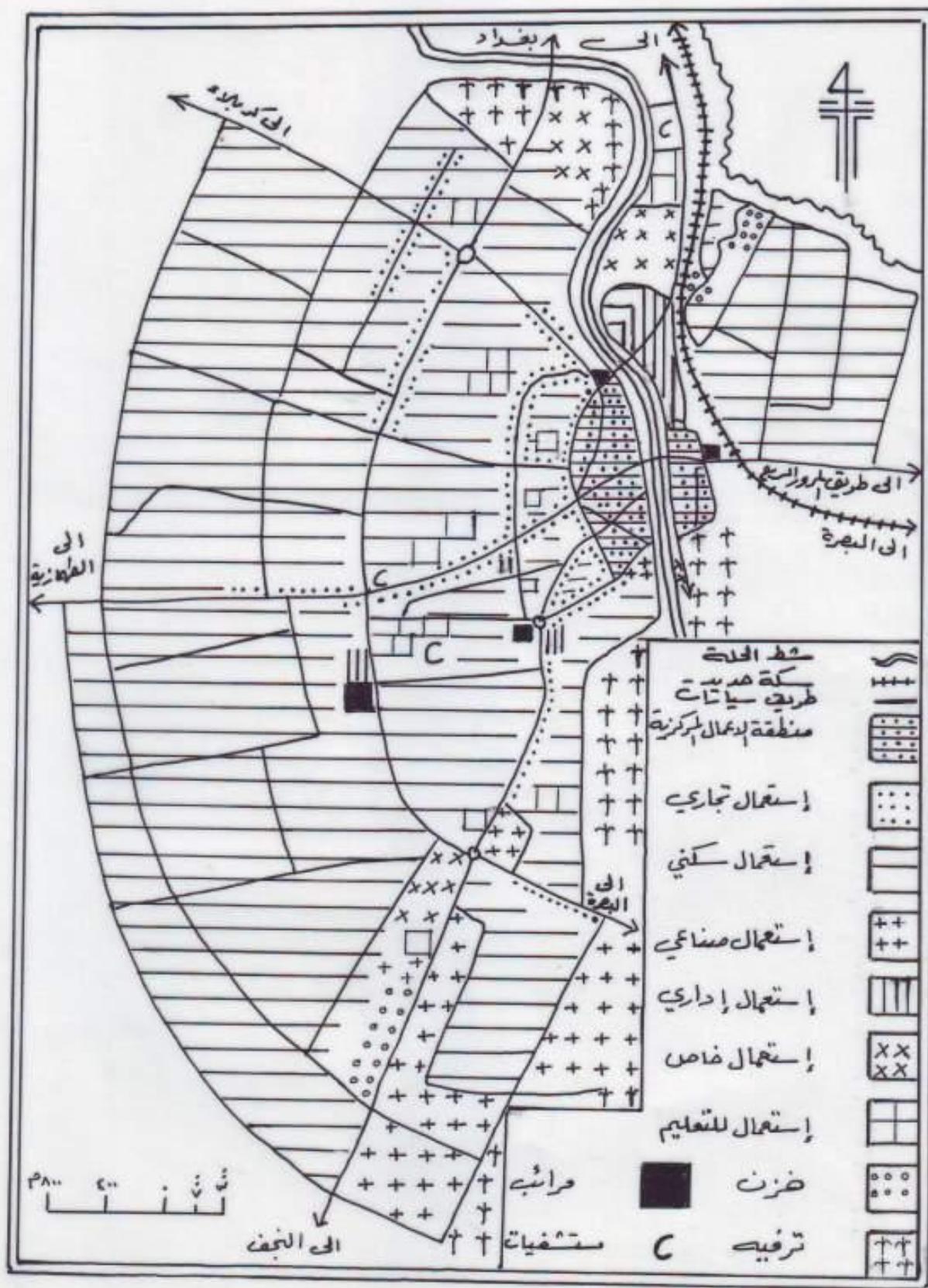
رابعاً: إقليم الدور الحديثة خارج هذا الشارع، وهذه الدور برغم حداثتها فإن أحياءها تفتقر لبعض الخدمات الأساسية لما مرّ على القطر من ظروف معروفة وأكثرها أثراً الحصار الاقتصادي والحروب.

٢٠٣ الاستعمال التجاري

تتمتع الحلة بموقع وأهمية تجارية ممتازة، فتقع في إقليم كثيف السكان، عاصم بمنتهى وقاراه، وتتوسط حواضر كبيرة منها وصغيرة، فهي على مقربة من بغداد وكربلاء والنجف والديوانية والكوت، وليس بعيداً عنها الهاشمية والقاسم والمحاويل وأبي غرق والكفل والكوفة والهندية والصويرية، أما إقليمها فيتميز بوفرة إنتاجه الزراعي من حبوب وتمور وذرة وزهرة الشمس وقطن وخضر صيفية وشتوية وفواكه، فضلاً عن ثروته الحيوانية ومنتجاتها، ولهذا وبه صارت سوقاً لتجمّع وتسويق إنتاجه، وسوقاً أيضاً لتوفير احتياجات سكانها ومن يجاورهم وعلى خيرات الإقليم ولخدمة السكان قامت صناعات شتى اشتهرت بها المدينة ووُجدت سوقها رائجاً في المحافظة وخارجها، وكان ليسرة المواصلات نحو المدينة دور في تحفيز التجارة فيها ومنها ولها، وصُرت التجارة شرياناً للاقتصاد يدر عليها وسكانها بخير عميم.

بدأت الوظيفة التجارية بالسوق الكبير (شارع الكواز)، وإن كانت به زماناً طويلاً حتى مطلع القرن العشرين، إلا أنها سرعان ما زحفت نحو الشوارع التي تم فتحها لاحقاً مثل أبي القاسم وأبي الفضائل والجبل والري والإمام على والصوب الصغير، ولاحقاً نحو شوارع الطهمازية والشاوي، وتصدرت مؤسساتها التجارية واجهات هذه الشوارع، بعدها ظهرت مراكز تجارية فيما بين أحياء السكن وخلالها لخدم سكان

خارطة رقم (٢)
استعمالات الأرض الحضرية في مدينة الحلة



الأحياء والمدارين بها . ومع أن التجارة كان لها (٣٣) هكتارا من مساحة المدينة القديمة ، فإن لها اليوم قرابة (١٠٤) هكتارا من المدينة تمثل ٢,٣٪ من مجموع مساحتها(لاحظ الخارطة رقم ٢) .

مما تقدم يمكن تصنيف مناطق الخدمات التجارية في المدينة إلى ما يأتي :

أولاً: منطقة الأعمال المركزية والتي تمتد في شطري المدينة على جانبي النهر، في الجانب الغربي من الجسر الشمالي للمدينة القديمة وحتى جسر سعد ،محاطة بشوارع أبي الفضائل والجبل والإمام علي ،وفي الشرق من الجسر الحديدي حتى جسر سعد إضافة للسوق فيه . إن هذه المنطقةأخذة بالتوسيع المستمر حتى أنها اكتفت منطقتي باب الحسين وباب المشهد ،وعلى وشك أن يكتمل زحفها ليضم الابراهيمية . يلاحظ فيها تركز كثيف للمؤسسات التجارية ،فيها جميع مؤسسات تجارة الجملة ،وغالب تجارة المفرد ولمختلف أصناف التجارة . وتتميز بأعلى سعر للأرض وإيجارها . وفيها أيضاً معظم المؤسسات الإدارية والمصرافية والصحية، كما تشهد أعلى حركة مرور الي وراجل طيلة النهار ومقدم الليل ، ومبانيها الأعلى في الكمية والقيمة، ولا غرو فهي قلب المدينة النابض صباح مساء، فضلاً عن كونها ورثة تاريخ المدينة وحاملة إرثها الحضاري والمعماري.

ثانياً: المراكز التجارية الثانوية، ولاحتلال بعض مؤسسات التجارة موقعاً تتوسط فيه وتخدم عدة أحياء أو محلات سكنية، فقد تحول بعضها إلى مراكز تجارية ثانوية كذلك القائمة في الثورة ونادر والبكرلي وحي الإمام علي .

ثالثاً: الشوارع التجارية والتي احتلت التجارة واجهاتها بعد تغيير صنفها من السكن إلى التجارة ل الحاجة لمزيد من مؤسساتها، وأهمها تلك المتفرعة من منطقة الأعمال المركزية كشوارع الطهمانية وابن طاووس وشارع (٤٠) . وللآخر منها خصوصيته التي تجتمع له فيها صفة التجارة والتزويد كونه يخدم مجموعة من الأحياء السكنية الراقية ، مما يجعله مرشحاً للتتحول إلى منطقة تجارية ثانوية خاصة .

رابعاً: المؤسسات التجارية المتفرقة والمترادفة مع الاستعمالات الأخرى، وهذه تخدم سكان الحي والمحلة والشارع الذي تقع فيه .

أما عدد مؤسسات التجارة، فقد ازداد بشكل سريع استجابة لمكانة المدينة التجارية، خلال مدة قصيرة تمتد ما بين عام ١٩٧٧ و إلى الآن ارتفع عددها من (٧٨٠٠) متجرًا إلى (١٢٥٠٠) متجرًا وهي في تزايد مستمر .

٣٠٣ . استعمالات الأرض الصناعية

لم تكن صفة الحلة أنها مدينة صناعية، إلا أن ما من مدينة صغيرها والكبير تخلو من الصناعة . ولأن للحلاة إقليم وافر الخيرات، فقد قامت فيها ، ومنذ أمد بعيد، العديد من منشآت وورش الصناعة ما يعتمد عمله على معالجة منتجات الإقليم الزراعية، أو لتوفير احتياجات السكان من المنتجات الصناعية البسيطة . كانت هذه يدوية يتوارث صنعتها الأبناء عن الآباء، وتمارس غالباً بمحيط المحلة، منها صناعات غذائية كطحنة الحبوب والمخبوزات والدبس والراشي والحلويات، وأخرى نسيجية كالخياطة والقطن

وغرزه ونسجه وكذا الصوف وخياطة الملابس، والصناعات الجلدية كدباغة الجلود وصناعة الأحذية والسراجة، ورابعة كصناعة الأدوات الزراعية البسيطة، وغيرها لإنتاج الأثاث المعدني والخشبى . وقد أمكن توقيعها في منطقة الأعمال المركزية في المدينة القديمة للتمتع بسهولة الحصول على المدخلات وتسويق الإنتاج فضلاً عن سهولة الوصول . ظل هذا الحال قائماً زمناً طويلاً، وما أن حل النصف الثاني من القرن العشرين، وظهرت مؤسسات المال والصيرفة وتخطيط الصناعة حتى أنشئت المصانع الكبيرة والمتوسطة مما يعود في ملكيته ل القطاعين العام والخاص، وأصبحت الصناعة أهمية في حياة المدينة وسكانها .

ضمت المدينة قبل عام ١٩٣٠ إثنان عشر معملاً، إلا أن عددها وصل إلى (٧٨٥) عام ١٩٦٩ وإلى أكثر من الألفين في الوقت الحاضر، نصفها عامل في قطاع الصناعات التحويلية والأخر لخدمات الصناعة، ويعمل فيها قرابة تسعة آلاف عامل، واتسعت المساحة المخصصة للصناعة من (٤٨) هكتاراً عام ١٩٧٠ إلى (٦٤٧) حالياً وبنسبة ١٤% من مجموع مساحة المدينة . تغطي صناعاته التحويلية معظم فروع الصناعة مع أرجحية واضحة لكل من الصناعات النسيجية والغذائية سواء باعتبار عدد مصانعها أو عدد العاملين فيها أو بأهميتها الاقتصادية . جاء ذلك لعراقة هذه الصناعات ولما يتتوفر لها من خبرة ومواد أولية وسوق فيها ومحيطها مما يعزز مكانة الصناعة عامة في المدينة وأكسبها موقعاً صناعياً متميزاً في القطر .

وقدت المنشآت الكبيرة غداة إنشاءها عند أطراف المعمور كمصانع المنسوجات الحريرية وكبس التمور والمشروبات الغازية، إلا أن امتداد العمران قد ضمها بين أحياه، فيما خصص لبعضها لاحقاً منطقة خاصة بالصناعة عند طرف المدينة الجنوبي (راجع الخارطة رقم ٢) . أقيم بالفعل في هذه المنطقة ما يقرب من ثلث المصانع، إلا أن مثل من ذلك ظل مائلاً في منطقة الإعمال المركزية، وتوزع الثالث الآخر بين أحياه السكن ليخدم السكان مبشرة . إن هذا التوزيع يستدعي وقفة تأمل لوجود صناعات ملوثة وخدمات صناعية كثيرة بجوار السكان أو بينهم، ولا بد من تقويم آثار ذلك على اقتصاد المدينة وبيتها وسلامة سكانها باعتبار ذلك في سلبه وإيجابه مستقبلاً .

٤٠٤ . استعمال الأرض لأغراض التعليم

عرفت الحلة منبراً للعلم ولملذاً لعلماءه، ورفدت البلاد والعباد بنور من الهدى والعلم والأدب، وبالقائمين عليها . فكان منها أعلام عرفوا على طول بلاد العرب والاسلام . وفي هذا كانت الجامع والمساجد دوراً للعلم، فيما كان فيها بعض من مدارس احتوتها دور سكن، إلا أنها وفي عصرنا آل دورها إلى ما بها من مدارس بأبنيتها الخاصة، ازداد عددها مع تزايد السكان لتصل إلى (١١٣) مدرسة عام ١٩٧٧ و(٢٣٦) في الوقت الحاضر، موزعة ما بين (١٥) لرياض الأطفال، و(١٣٥) للمرحلة الابتدائية و(٧٣) في التعليم الثانوي و(١١) مدرسة مهنية ومعهدان للمعلمين . يدرس فيها ما يزيد على (١٢٤) ألف طالب يقوم على تعليمهم أكثر من سبعة آلاف معلم ومدرس . ويبلغ عدد الأبنية التعليمية (١٤٤) بناية

شغلت (١٦٥) هكتاراً وبنسبة ٣,١% من مساحة المدينة، توزعت هذه المراكز بين أغلب أحياء السكن لتقديم خدماتها الجليلة مع أرجحية في ذلك للأحياء القديمة على حساب أختها الحديثة.

أما جامعة بابل التي أنشئت عام ١٩٩١، فقد اتسع دورها في رفد المجتمع بملكات العلم حتى تحولت إلى منبر يشار له بالبنان، فهي اليوم تضم ستة عشر كلية غطت العديد من حقول المعرفة (٤٢ قسماً و٤٣ فرعاً) منها الطب والصيدلة وطب الأسنان والهندسة والعلوم الصرفة وعلوم الإنسان وتربيتها، يدرس فيها حالياً (١٥٧١٠) طالباً وطالبة في مرحلة الدراسات الأولية و(٣٤٣) طالباً في مرحلة الماجستير و(٢٠٩) طالباً في الدكتوراه، يقوم على تدريسهم (١٣٨٦) تدريسياً بمختلف الدرجات العلمية، يتربع في أعلى منهن خمسون من هم في درجة استاذ، ومع رسوخ هذه الجامعة في مستوى علم علماءها وطلابها، فهي تنمو سريعاً لتصطف بجنب جامعات القطر العربية، وتهتم الجامعة بأنشطة علمية أخرى، فلها العديد من المراكز الاستشارية ومراكز البحث التي تخدم مؤسسات الدولة والمجتمع، وتقيم دورات كثيرة في اللغات والحواسوب والتعليم المستمر وطرق التدريس وغيرها.

٥٠٣ الخدمات الصحية

تصف هذه الخدمات بأهميتها وخصوصيتها في أن واحد، فهي تخدم سكان المدينة والمحافظة بعامة، كما أنها تتخذ ترتيباً هرمياً من حيث مستوى اهتمام السكان، فتبدأ عادةً بمركز صحي للرعاية الأولية يخدم المحلة التي يقع فيها، ثم العيادات الشعبية لقطاع في المدينة، ثم المستشفيات والمراكز التخصصية، فضلاً عن عيادات الأطباء التي تتحشد في موقع مركبة من المدينة مما يسهل الوصول إليه كما المستشفيات.

وفي الحلة أحد عشر مركزاً صحياً للرعاية الأولية، ومثلها من العيادات الطبية الشعبية، تتوسط بين أحياءها عدا تلك الحديثة منها ما مر ذكره سابقاً لذات السبب المتمثل بظروف الحصار وما تلاه من أحداث بعد العام ٢٠٠٣، أما المستشفيات ففي المدينة منها ثلاثة رئيسية: أولها هي الجراحي في الإسكان بسعة (٤٣٠) سريراً، ثم الولادة والأطفال في باب المشهد وبسعة (٢٦٠) سريراً، ومرجان للأمراض الباطنية والقلبية في حي الجزائر وبسعة (٤٢٤) سريراً، وفيها أيضاً مستشفيان أهليان هما الشفاء في حي بابل والفيحاء في الجمعية، وهناك عدة مراكز تخصصية للربو والحساسية والعيون وطب الأسنان مما هو ملحق بالمستشفيات أتفة الذكر أو منعزل عنها، وبين أيدي الجهات التخطيطية موقع مخصصة لمستشفيات ومراكز صحية قد توضع موضع التطبيق قريباً لاستكمال النقص في هذه الخدمات الأساسية.

شغلت الخدمات الصحية مساحة امتدت على (٤٨) هكتاراً من الأرض تمثل نسبة ١,٠% من مساحة المدينة.

٦٠٣ استعمال الأرض لغرض النقل والاتصال

وتشتمل على شبكات الطرق داخل المدينة ونحو منافذها الخارجية، ومواقف السيارات بأنواعها . أما خدمات الاتصال فتضم الهاتف والبريد ونحوها . ظلت الطرق في المدينة كحال مدن العراق الأخرى ، رديما من الزمن ضيقة الاتساع وكثيرة الالتواء، غير أنها ومنذ افتتاح المجتمع على الحضارة الحديثة ، وبدخول السيارة ، صارت الشوارع أكثر اتساعا واستقامة لحداثتها وأغلب القديم، وفتحت شوارع تنطلق من قلب المدينة نحو أطرافها وأخرى محيطة . أما مواقف السيارات الرئيسية فكان البدء فيها باثنين في قلب المدينة ، أحدها ينحو شمالا والآخر نحو الجنوب، ثم جاء ثالث نحو الشرق . وفي وقت لاحق استحدث مرأب موحد للنقل الخارجي على شارعها المحيط ، وتم تحويل السابقة منها للنقل الداخلي ، وأضيف لها خامس . أما مرائب الوقوف فهي جد قليلة ، وغالبا ما تستغل الفضاءات المفتوحة أو جنبات الشوارع مواقف للمركبات مما يتسبب في عرقلة حركة المرور في قلب المدينة طرفي النهار . ولابد من تدارك ذلك بمراعاة جوانب تخطيطية وجمالية ومعمارية، تبدأ بوضع تسلسل هرمي لنظام النقل وخدماته يستوعب حجم حركة المرور واتجاهاتها وتوقفاتها، وبالتالي سعة الشوارع ونوع المركبات المسموح لها بالمرور . وينبغي أيضا مراعاة مطالب المرور الرجال من فضاءات في مساحتها وارتفاعها وظلها ، وفي عزلها عن المرور الآلي، وفي هذا وذلك مراعاة الجانب الحسي والمناخي والجمالي عمارة وتشجيرا واتجاهها .

ويمر في المدينة خط سكة حديد بغداد - البصرة، ويأخذ من أرضها قرابة (١٣٠) هكتارا ويقدم خدماته لعموم المحافظة سكانا واقتصادا . أما عموم المساحة لهذا الاستعمال فقد بلغت (٦٦٠) هكتارا وبنسبة ١٤٪ من المساحة الكلية . وأقيم في المدينة أربعة جسور للربط بين جانبي شط الحلة وقد يضاف آخر لتعزيز كفاءة النقل .

وفي مجال الاتصال فإن الحرب على العراق عام ١٩٩١ والحصار الذي تلاها ثم الحرب عليه تارة أخرى عام ٢٠٠٣ لم تبق شيئا يذكر من هذه الخدمات وهي في طور إعادة الاعمار حاليا .

٧٠٣ خدمات الترفيه والثقافة

تقديم مؤسساتها الخدمة لعموم سكان المدينة وما يجاورها ، ولها تراتب محسوب اعتبارا من مؤسسات المحلة مثل المقاهي والحدائق الصغيرة ، وثمة تلك التي يفيد منها قطاع في المدينة، وتكون بمساحات أوسع من سابقتها وموقع تتوسط عدة أحياء لضمان سهولة الوصول والعودة . ومن هذه ما يخدم عموم السكان كالمنتزهات ومدن الألعاب والحدائق العامة ودور السينما والنادي الاجتماعي ومراكم الشباب، فضلا عن الملاعب والمطاعم . وإضافة لأهمية اختيار مواقعها التي قد تتمتع بمزايا معينة، خدماتها لابد أن تكون أعلى من سابقتها . وقد ينظر لهذه المؤسسات من زاوية عدد مرات زيارتها في اليوم أو الأسبوع أو الشهر . وسواء هذه أو تلك فإنها جميعا تسهم

في ترويج مرتاديها وتبعدهم عن جو السأم والملل الذي قد يعانون منه في كدهم وعناءهم . وببعضها تزودهم بقدر من الثقافة والأدب الذي ينشدونه . ومعروف أن أهمية هذه الخدمات ونوعها ومستواها وكذا المساحات التي تشغلاها تزداد مع ارتفاع السكان ودرجة تحضرهم .

تميزت مدينة الحلة بموقع تمثل بشطر النهر لها ، وببساتين النخيل التي تحف به وبها وتتدخل حيناً بين أحياها . وهي أيضاً وريثة بابل في الجوar ذات الشهرة في التاريخ والحضار والزيارة . وفي المدينة والإقليم في الجوar أضرحة ومراقد مقدسة يومها زوار قاصدوں ومارون من قریب أو بعيد . وإذا خلت المدينة القديمة إلا قليلاً من خضرة الشجر ، فإنها إكفت بامتدادها على ضفتي النهر ، إلا إن أحياها الجديدة قد بعده شقتها عنه ، وما عوضت عنه إلا بالنذر اليسير من منشآت الترفيه .

هيأت التصاميم الأساسية للمدينة مساحات بموقع عدة لخدمات الترفيه ، غير أن زحف السكن وأغراض أخرى قد طال العديد مما هو قائم منها بالفعل أو موقع مخصصة لها ، فغابة الجمهورية بكليتها قد تحول استخدامها لغرض آخر ، ووزعت مساحات خضراء قطعاً للسكن ، فيما نال بعض الإهمال متنزهات داخل المدينة . ويبقى للحلة خير كثير ، فلباب يمكن أن تكون مواسم للثقافة والزيارة ، ولها منطقة مفتوحة خضراء تبدأ من الجسر الشمالي وحتى طرفها الجنوبي تحف بالنهر ، ومدينة للألعاب يمكن بعث الحياة فيها تارة أخرى ، وفيها فضلة من متنزهات كالشعب والجنان المعلقة ، وبعض من حدائق وسطية صغيرة ، كذلك التي في الخرساوية وهي بابل .

يخدم شباب المدينة ثلاثة مراكز تتوزع بين محلات الإسكان والخرساوية والثورة . وفي الأخير قاعة ، وللرياضة فيها ملعبان ، وللمطالعة مكتبة عامتان وأخرىات خاصة أو ملحقة بدور العبادة . وللفن السابع ثلاث دور للعرض السينمائي . وتنشر فيها أيضاً عدة نواد رياضية وإجتماعية . وبهذا فإن ما في المدينة من مياه وخضرة يهيئ لاستثمارها مستقبلاً وبما يوم من خدمات للترفيه تتميز بها عن سواها .

٨٠٣ . استعمال الأرض لأبنية الخدمات التحتية

وتتضمن خدمات الماء والكهرباء والصرف الصحي ومحطات تجهيز الوقود . أقيم في المدينة مشروعان لتصفية المياه ، قديم في منطقة باب الحسين وحديث شمال المدينة يرتبطان بخمس خزانات موزعة بين أرجاءها . تبلغ طاقتهما تصفية (٦٠) مليون متر مكعب من الماء الصافي سنوياً . وهذا يكفي لسد حاجة سكان المدينة بكل أنشطتهم ولسنوات قادمة فيما لو تم ترشيد استهلاك الماء ، وأستثمر من دون ضائعات ، إلا أن طاقات التصفية الحالية لا تزيد عن نصف هذا المقدار لشحة في الطاقة والماء وقطع الغيار ، وتقادم شبكة التوزيع التي يعتبر معظم امتدادها في عمر الاندثار ، فيما تبدو الحاجة واضحة لشبكة للماء الخام .

و في قطاع الكهرباء، يلحظ وجود ثلاث محطات كبيرة لتوليدتها ، وخمس أخرى صغيرة غير أنها جمِيعاً لا تتوفر كامل مطالب السكان لما شهدت قطاع الكهرباء من مشاكل تفاقمت دون حلول .

أما خدمات الصرف الصحي فتخدم شبكة لها بعض أحياء المدينة لضاللة طاقاتها، مشكلات الطاقة الكهربائية . و يتطلب أمر التوسيع بهذه الخدمات جهود وإمكانات كبيرة . و توفر ثلاثة محطات للوقود احتياجات السكان من أنواع الوقود فيما أقيمت محطات أخرى عند مداخل المدينة لخدمة قطاع النقل المار في المدينة والداخل إليها والخارج منها .

٩٠٣ . الخدمات الإدارية

و تشتمل على مراكز الإدارة المحلية والشرطة والأمن والجنسية ونحوها . و جلها قد أقيمت مؤسساتها بموقع مركبة للمساعدة في تأدية عملها بيسر ، و يعين السكان على الوصول إليها وإنجاز معاملاتهم اليومية بيسر وسهولة .

٤ . الهوامش

- (١) توماس، أميل، البيئة وأثرها على الحياة السكانية، ترجمة زكرياً أحمد البراوي، دار الجيل، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٣٩ .
- (٢) الجنابي، صلاح حميد، جغرافية الحضر، جامعة الموصل، مطبع جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص ٣٣٤ - ٣٣٧ .
- (٣) Hagget , Peter ,Locational Analysis in Human Geography, Edward Arnold Pub.Ltd.,Butler Stanner Ltd.U.K.,1965, p.115.
- (٤) Alexander ,John W.,Economic Geography ,Printice-Hall Inc.,U.S.A.,1963.pp.557-558.
- (٥) Richardson ,Harry W.,Regional and Urban Economic , Pitman Pub.Ltd.,U.K.,p.304.
- (٦) الهيثي ، د. صبري فارس، د. صالح فليح حسن، جغرافية المدن ،جامعة بغداد،مطبع جامعة الموصل، ١٩٨٦، ص ٧١ - ٨٢ .
- (٧) الدليمي ، د. مالك، د. محمد العبيدي ، التخطيط الحضري والمشكلات الإنسانية،جامعة بغداد ،دار الحكمة للطباعة والتشر،الموصل ، ١٩٩٠ ، ص ٦١٢ - ٦١٤ .
- (٨) الخطيب ، صباح محمد ،الحلة الكبرى،وظائفها وعلاقتها الإقليمية،مكتبة المنار،بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ٣٤ .
- (٩) الحسني ، عبد الرزاق ، العراق قديماً وحديثاً ،طبعة الثانية ،مطبعة العرفان، صيدا ، ١٩٥٦ ، ص ٤١ .
- (١٠) نفس المصدر، ص ١٤٢ .
- (١١) الخطيب ،مدينة الحلة ، ٠٠٠٠ ، مصدر سابق ، ص ٣٥ .
- (١٢) بكنغهام، جيمس ، رحلتي إلى العراق ١٨١٦ ، ترجمة سليم طه التكريتي ،مطبعة أسعد ،بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٣٥ .
- (١٣) كركوش ،الشيخ يوسف،تأريخ الحلة ،الجزء الأول ،طبعة الأولى ،المطبعة الحيدرية ،النحو الشفاف ، ١٩٦٥ ، ص ١٤٧ .
- (١٤) هولدن ،السير آمن ،ثورة العراق ١٩٢٠ ، ترجمة فؤاد جميل،مطبعة الزمان، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ١٦٨ .
- (١٥) نتائج التعداد العام للسكان للأعوام ١٩٤٧ و ١٩٥٧ و ١٩٦٥ و ١٩٩٧ و ١٩٩٧ .
- (١٦) هاشم ، باقر حسن ،مدينة الحلة القديمة الواقع وسياسات التجديد الحضري، أطروحة دكتوراة مقدمة إلى مجلس مركز التخطيط الحضري والإقليمي - جامعة بغداد ، ١٩٩٩ ، (غير منشورة) ، ص ٢٣ .
- (١٧) التصميم الأساسي لمدينة الحلة وتحديثاته ،